الفصـــــــل الثـــــاني

مـــــؤرخـــــون يـــــونانيـــــــــون وشـــــعوب الشـــــــــــرق

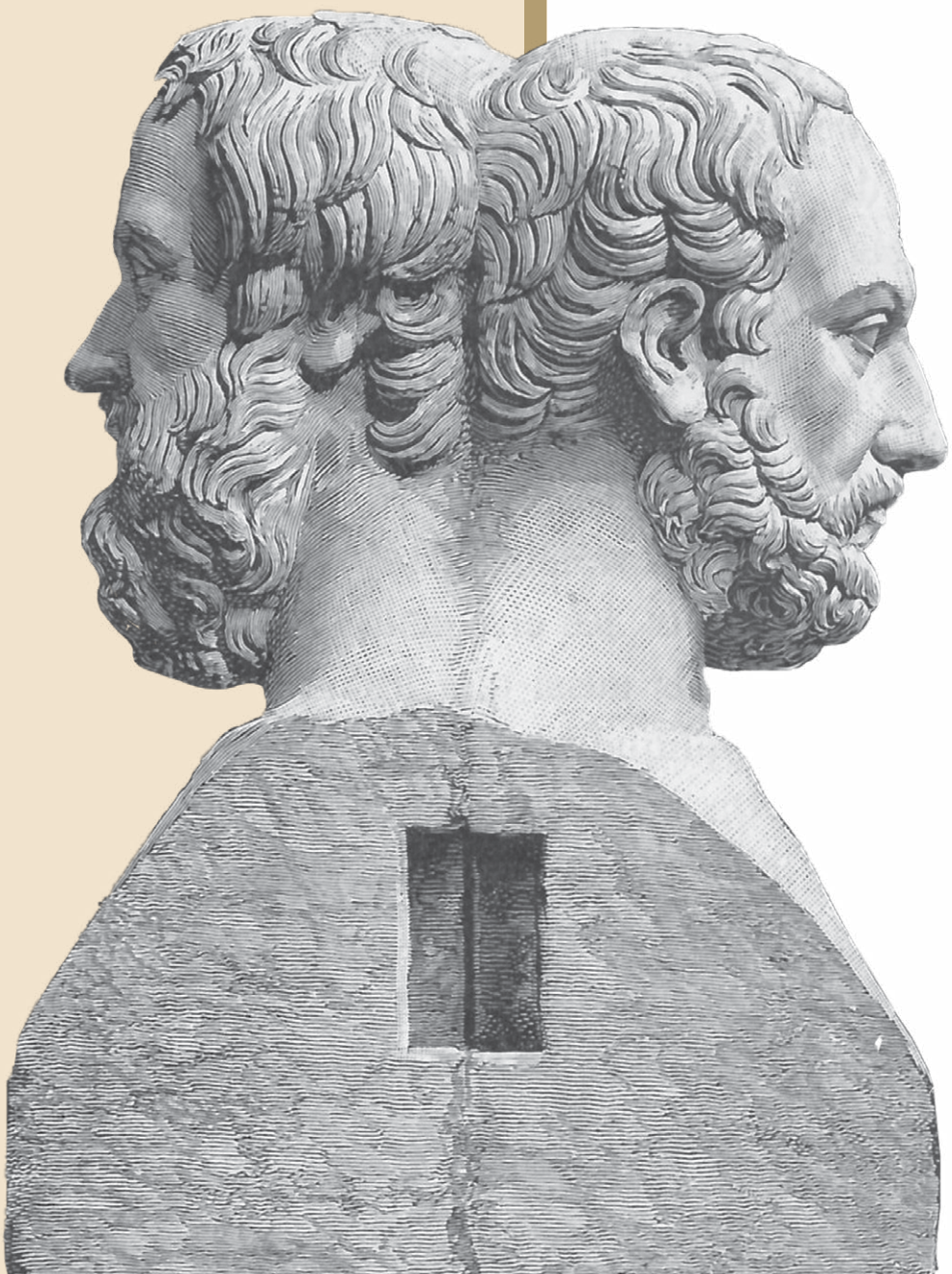

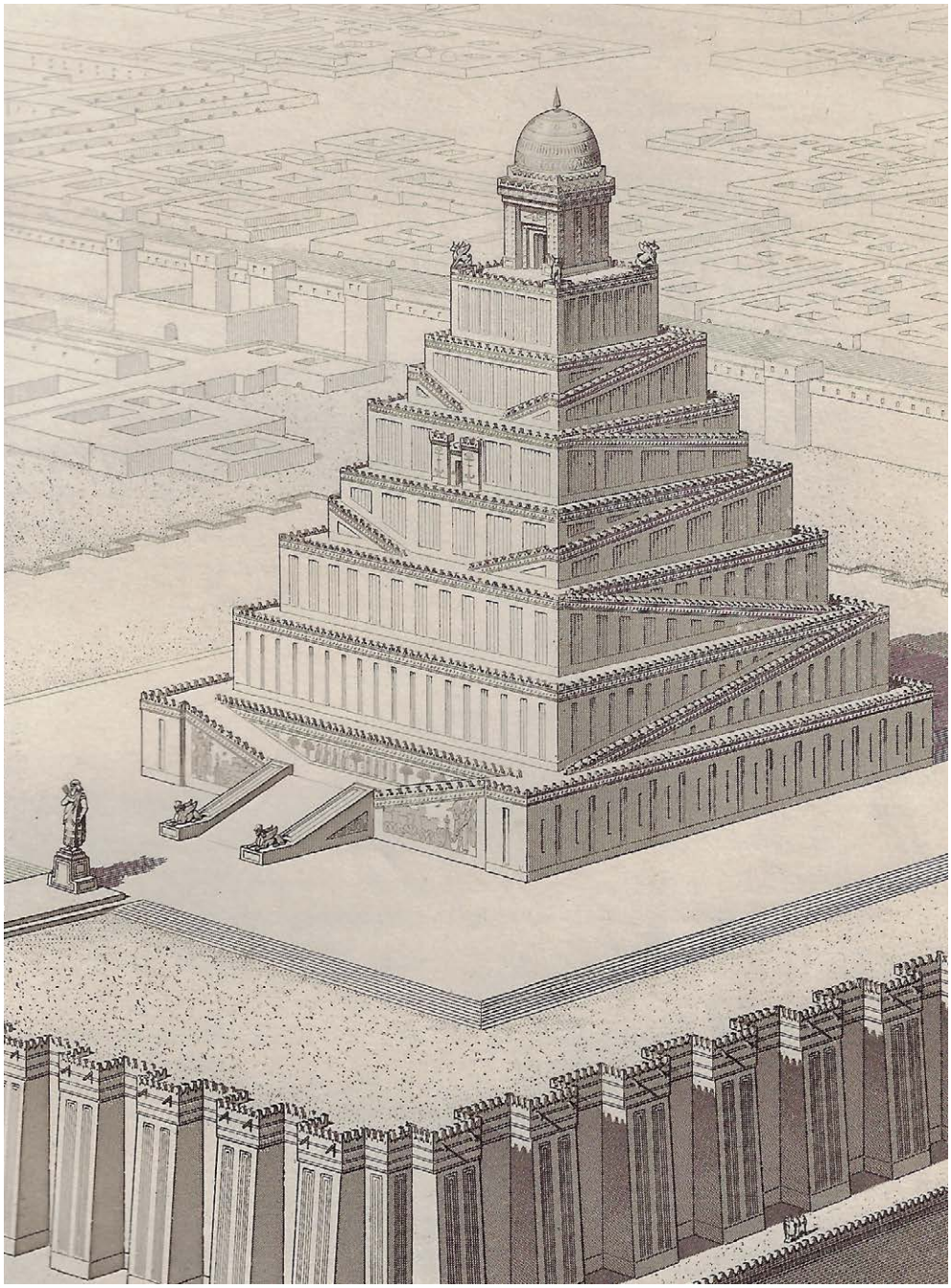

٤٠. Charles Chipiez، رسم تمثيلي لمعبد كلدي بانحدار مزدوج. من إصدار
Georges Perrot & Charles Chipiez،
«...Histoire de l’art dans antiquité»، م. ٢، باريس، Librairie Hachette، ١٨٨٤ (م. أ).

قضايا لغوية خاصة بشعوب الشرق

على الرغم من أن شعوب الشرق منذ عصر السومريين والآشوريين والأكاديين بل والبابليين أيضاً، كانوا قد أسسوا ممالك قوية وامبراطوريات، إلا انهم لم ينجحوا على الاطلاق في فرض لغة مشتركة مفهومة لدى الجميع وموحدة في شكلها الكتابي أيضاً، فيما عدا الآرامية التي تم فرضها عن طريق الفرس، وجاءت لتحل محل الكتابة الفارسية المسمارية. من هذا المنطلق يتضح أن أي نوع من أنواع المعرفة عن شعوب الشرق الأخرى كانت مجزأة ومقتصرة في الأغلب على أمور خاصة بالبيروقراطية، والإدارة والشؤون القانونية والدبلوماسية.[١]

يعود تاريخ الكتابات السومرية والبابلية المنقوشة بالمسمارية على ألواح من الطين إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، وهي تتميز بطابع ديني في الغالب وكانت تُكتب بواسطة الكهنة الذين كانوا مكلفين بحمايتها في محفوظات المعبد. ومع ذلك لم تكن هذه الكتابة دينية بحتة، بل كانت تشمل الشعر الغنائي والملحمي، والطب وعلم الفلك وبالطبع التاريخ. فقد احتلت الدفاتر التجارية نسبة كبيرة من أرشيف هذه الكتابات.[٢]

إن ما يجب التأكيد عليه فيما يتعلق بحضارة السومريين - وهم شعب نما في منطقة بلاد الرافدين، ما بين نهري دجلة والفرات حيث كانت إريدو عاصمة لهم - هو منظومتهم التربوية وخاصة المدرسية منذ بدايتها. فقد تم انشاء المدارس بهدف دعم الكتابة وبالتالي المساهمة في نشر التراث الأدبي. وسرعان ما تم ادراج معلمي الكتابة في الرتب التعليمية المختلفة، بينما تطورت المدارس إلى صالونات للمثقفين ومراكز ثقافية بشكل عام.[٣]

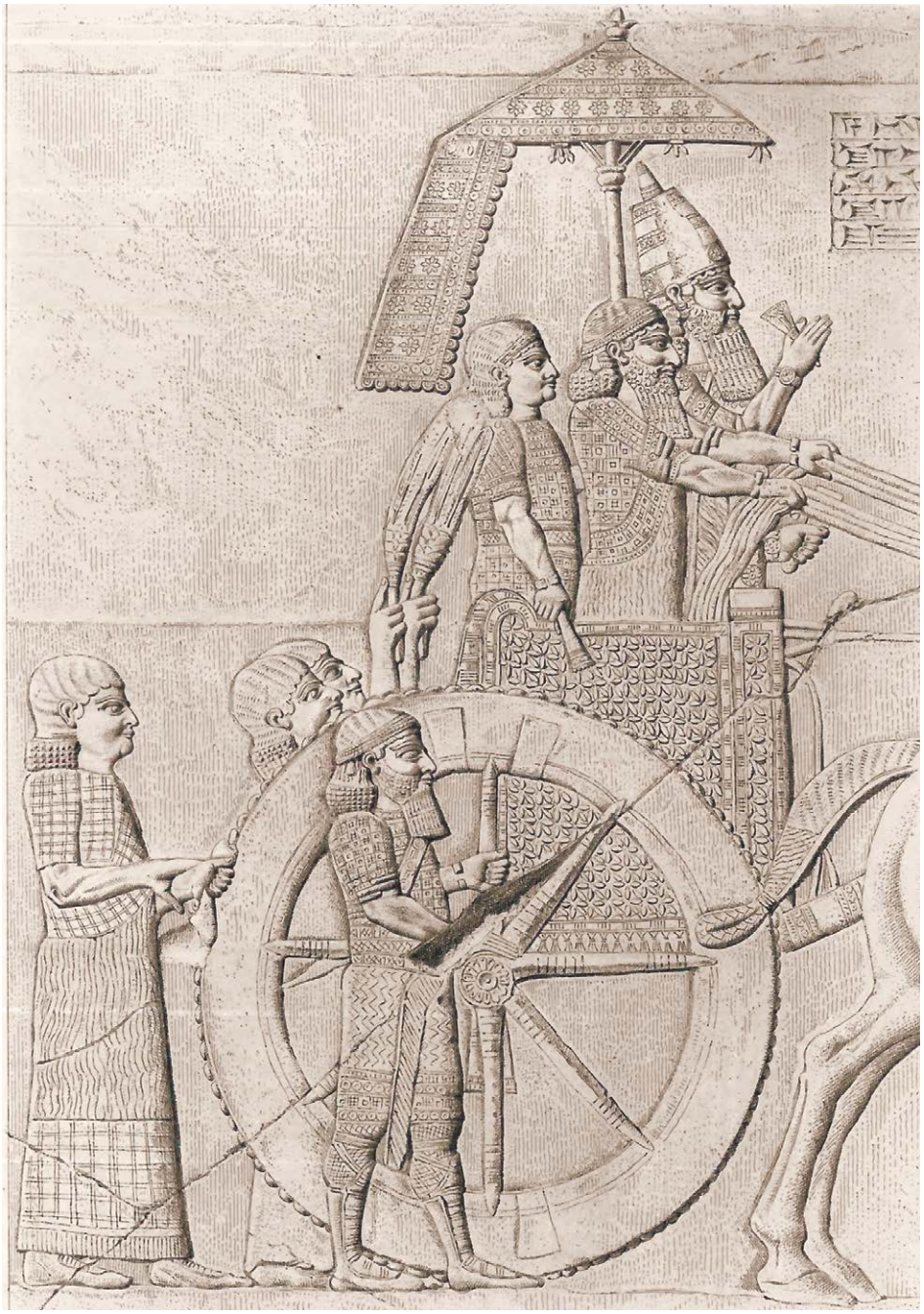

٤١. آشوربانيبال على عربته. رسم تمثيلي لنقش بارز من متحف اللوفر. من إصدار
Georges Perrot & Charles Chipiez، «...Histoire de l’art dans antiquité»، م. ٢، باريس، Librairie Hachette،
١٨٨٤ (م. أ).

مـــكتبـة آشـــــــــــوربانيبال

فقـط ملـك الآشـوريين أشـوربانيبال المعـروف يونانيـاً باسـم سـاردانابالوس هـو مـن سـيحاول رفـع المسـتوى الفكـري لرعايـاه وتكويـن مجموعـة مـن الوثائـق التاريخيـة وسلاسـل أنسـاب شـعوب الـشرق محـاولاً جمـع كل نـص مكتـوب يتعلـق بالتقاليـد الاجتماعيـة والفكريـة والدينيـة لإمبراطوريتـه الشاسـعة. وهكـذا بـدأ في جمـع أهـم نصـوص الآشـوريين في نينـوى. لهـذا الغـرض كلـف وكلاء في جميـع مناطـق أراضيـه بهـدف تسـجيل محتويـات المحفوظـات الخاصـة والحكوميـة التـي كانـت توجـد في مختلـف المـدن الكـبرى لإمبراطوريتـه وأنشـأ معمـلاً خاصـاً بالنسـخ مـن أجـل نسـخ النصـوص القديمـة والتعليـق عليهـا.[٤]

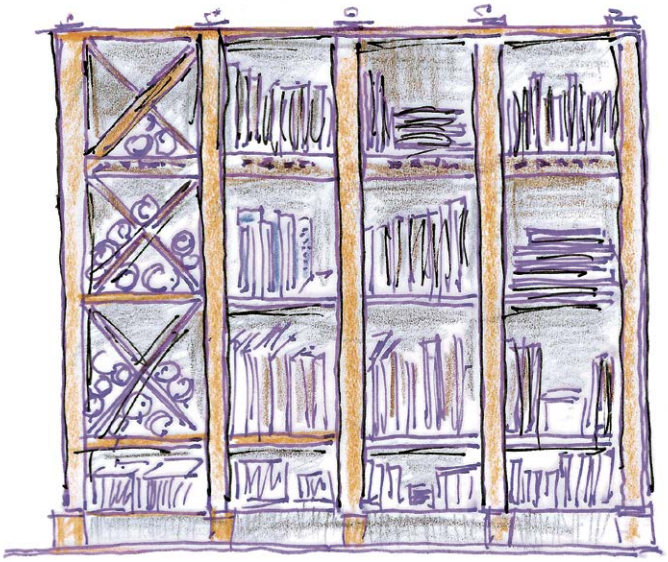

٤٢. تصميم لأرفف مخصصة لحفظ المواد الأرشيفية المسجلة على لفائف البردي والألواح، من تصميم ق. س. ستايكوس.

احتـوت «مكتبـة» آشـوربانيبال عـلى مـا يقـرب مـن ٢٥,٠٠٠ لوحـة، وقـد تـم تصنيفهـا إلى قسـمين مختلفـين: اشـتمل القسـم الأول عـلى رسـائل ووثائـق دبلوماسـية وسـجلات ماليـة وعقـود، بينـما القسـم الثـاني عـلى نصـوص أدبيـة، وتاريخيـة، ودينيـة وعلميـة. إن اهتـمام أشـوربانيبال الشـخصي بمـا قـام بجمعـه والبحـث المنهجـي وتقييـم كافـة تـراث شـعوب مـا بـين النهريـن المكتـوب جعلـه بشـكل عـادل يفتخـر بنفسـه قائـلاً: «لقـد حصلـت عـلى الكنـوز المخفيـة لكافـة علـم الكتبـة ... وقمـت بحـل مسـائل القسـمة والـضرب الصعبـة التـي لم يتـم تسـجيلها بوضـوح. لقـد قـرأت كتابـة السـومريين الفنيـة وكتابـة الأكاديـين السـوداء وقمـت بفـك رمـوز النقـوش التـي تـم حفرهـا عـلى الأحجـار في عـصر مـا قبـل الطوفـان».[٥]

مـــؤرخون يـــــــــــونانيون

منـذ عهـد هومـيروس، بـدأ الشـعب المـصري في إثـارة اهتـمام اليونانيـين وبشـكل أسـاسي فيـما يتعلـق بالعـادات والتقاليـد غـير المألوفـة التـي كان مـن الصعـب تفسـيرها وفقـاً لمعاييرهـم المشـتركة. فلـم يمثـل هـذا الشـعب عـدواً محتمـلاً عـلى الاطـلاق، بـل كان يُعتـبر مصـدراً للمعرفـة. وبشـكل واضـح يشـهد هـيرودوت كيـف أن اليونانيـين اسـتمدوا مـن هنـاك العديـد مـن المعتقـدات الدينيـة والإنجـازات العلميـة، مثـل مـا يُسـمى بالترانيـم الأورفيـة والأفـكار الرياضيـة المختلفـة مثـل مبرهنـة فيثاغـورس.[٦]

بـدأ اليونانيـون في تسـجيل تاريـخ شـعوب الـشرق بشـكل منهجـي منـذ عهـد هيكاتايـوس الأبديـري وهـيرودوت الـذي نشـأ في هاليكارناسـوس بـل وكسـانثوس الليـدي أيضـاً، حيـث يعـد أول كتـاب الـشرق اليونانيـين الـذي كتـب تاريـخ وطنـه ليديـا.

منـذ الحقبـة الهلنسـتية وبفضـل بصـيرة سـلالة البطالمـة، اكتسـبت شـعوب البحـر المتوسـط لغـة مشـتركة قـادرة عـلى التعبـير عـن خصائـص كل شـعب، وتصوراتـه وعاداتـه وتقاليـده ومعتقداتـه الدينيـة.

حول عدم ثنائية اللغة عند اليونانيين

تميـزت الحضـارة اليونانيـة مقارنـة بشـعوب الـشرق الأخـرى بأمـور عـدة، منهـا أنهـا حافظـت عـلى اللغـة اليونانيـة كوسـيلة رئيسـية للتواصـل. فـأي مسـاهمة فكريـة مـن أصحـاب اللغـات الأخـرى كان يتـم تلقيهـا فقـط وهـي مصاغـة باللغـة اليونانيـة، لم يقـرأ أي يونـاني الترانيـم الزرادشـتية (الجاتـاس) بالفارسـية أو كتـب الحكمـة المصريـة. وبهـذا الشـكل اضطـر المهتمـون أن يقـرأوا باليونانيـة تاريـخ حضـارات الـشرق وبالطبـع تاريخهـم كذلـك.[٧]

لم يتوقـف العـالم الهلنسـتي عـلى الاطـلاق عـن التعبـير عـن نفسـه باللغـة اليونانيـة، وهـو الأمـر الـذي شـكل وعيـه الـذاتي. وأول «ناطـق بلغـة أخـرى» أكـد عـلى مثـل هـذه القاعـدة، راغبـاً في نـشر تاريـخ بلـده كان كسـانثوس الليـدي الـذي يمثـل ولادة نـوع مـن الأدب مبنـي عـلى النصـوص الأجنبيـة المكتوبـة والتقاليـد.

ولنضـف هنـا عنـصراً يتعلـق في الأسـاس بـالأدب المقـارن ولـه صلـة ببدايـات اتصـال الإيرانيـين واليونانيـين: فإحـدى المشـاكل التـي يطرحهـا فقهـاء اللغـة تعتـبر مسـألة لغويـة بحتـة وتتعلـق بوصـول الميديـين إلى إيونيـة واحتلالهـا بواسـطة هارباغـوس الميـدي لحسـاب

قـورش ملـك الفـرس حـوالي عـام ٥٤٥ ق. م. فيعتقـد علـماء فقـه اللغـة المقـارن أنـه لابـد مـن أن اتصـال الإيرانيـين باليونانيـين يعـود إلى عصـور ضاربـة في القـدم وذلـك اسـتدلالاً بـأن كلمتـي Māda و Pārsa لم يكـن مـن الممكـن تحويلهـما إلى اليونانيـة بشـكل متطابـق كالآتي Μῆδος و Πέρσης بعـد نهايـة القـرن العـاشر قبـل الميـلاد، في حـين أن الانتقـال مـن الحـرف اليونـاني

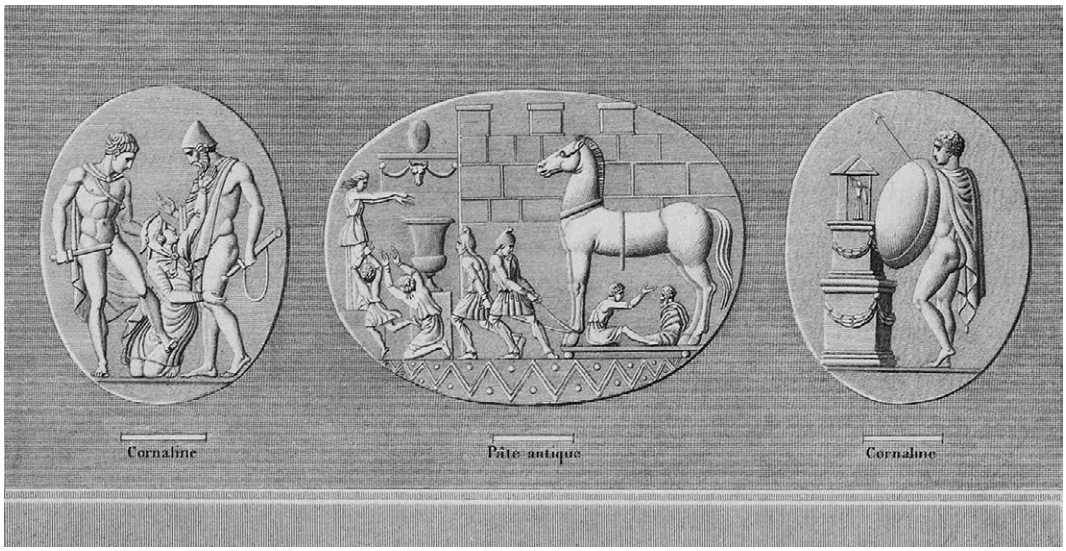

٤٣. أ حجار خواتم عليها مشاهد من حرب طروادة. من إصدار
Marie Gabriel Florent Auguste de Choiseul-Gouffier،
«Voyage pittoresque de la Grèce»، باريس، J.-J. Blaise، ١٨٠٩ (م. أ).

الأول ā إلى ē الإيـوني وكذلـك تقصـير حـرف المـد ē قبـل مجموعـة مـن الحـروف السـاكنة، كان قـد انتهـى. عـلاوة عـلى ذلـك، هنـاك أيضـاً كلمـة تعيدنـا إلى المـاضي، إلى عـصر هومـيروس وهـي τό ῥόδον التـي عـلى الأغلـب تُعـدّ فارسـية، معروفـة عنـد هومـيروس وربمـا عنـد معلميـه وذلـك إذا اسـتندنا إلى الاسـتخدام المتكـرر لتعبـير Ἠώς ῥοδοδάκτυλος.[٨]

لكـن دعونـا نبـدأ بالمـؤرخ اليونـاني العظيـم هـيرودوت، أول مـن حـاول كتابـة التاريـخ بشـكل لا تشـوبه الأسـطورة.

«تـــــاريخ» هيرودوت

يعـد هـذا العمـل بمثابـة البانوراما التاريخيـة للـشرق التـي تلقـي الضـوء عـلى سـماته الجغرافيـة والإثنوغرافيـة وهـو انجـاز لهـيرودوت الـذي نشـأ في هاليكارناسـوس وولـد مـا يقـرب مـن عـام ٤٨٤ ق. م. في منطقـة كانـت تقـع تحـت نفـوذ الكاريـين. أتـم دراسـته في أثينـا في ضيافـة منـزل بيريكليـس وكان صديقـاً لسـقراط. وعـلى الرغـم مـن أنـه كان أجنبيـاً مقيـماً في المدينـة، إلا أن أثينـا كرمتـه بإعلانـه مواطنـاً لهـا.

٤٤. ربات الإلهام التسع. كأس أحمر اللون، ميونخ، Staatliche Antikensammlungen.

كان مؤلفـه يُسـمي «تاريـخ هـيرودوت» - وهـو عنـوان لاحـق لعمـل تاريخـي كان قـد أطلـق عليـه فقهـاء اللغـة السـكندريون اسـم «ربـات إلهـام هـيرودوت» وقسـموه إلى تسـعة كتـب، كل منهـا يحمـل اسـم واحـدة مـن تلـك الربـات.[٩] ويعـدّ بمثابـة سرد لطريقـة حيـاة وسـلوك وأعـمال الشـعوب التـي نشـطت في الـشرق، وقـد كُتـب هـذا الـسرد بشـهادة العيـان، فاتحـاً بهـذا الشـكل الطريـق أمـام علـم التأريـخ. لذلـك وبشـكل صحيـح قـد منحـه شيشـيرون اللقـب الفخـري pater historiae، (De legibus, I, ١,٥).

فيـما عـدا مـا رآه هـيرودوت مـن غرائـب في الأماكـن التـي زارهـا، أثـار اهتمامـه السـمات الأنثروبولوجيـة، والفضـول مـا قبـل العلمـي حـول أوجـه التشـابه والاختـلاف بـين الأجنـاس البشريـة وبالطبـع أسـلوب حياتهـا وديانتهـا وثقافتهـا بشـكل عـام. لم يتأثـر هـذا البحـث

المقـــارن بـــأي تحيـــز وطنـــي، وكان يهـدف إلى فهـم أهـم سـمات الإنسـان والجنـس البـشري كافـة مـن أجـل تفسـير تاريخـه ومصـيره.

تُسـمى الكتـب التسـعة كليـو، ويوتـيربي، وثاليـا، وميلبومينـي، وتيربسـيكوري، وإراتـو، وبوليهيمنيـا، وأورانيـا وكاليـوبي. كان محتـوى روايـات هـيرودوت يتمحـور حـول الحضـارة الفارسـية، والانجـازات الحربيـة للفـرس منـذ عهـد خضـوع إيونيـة وممالـك آسـيا الصغـرى في كاريـا، وليقيـا وغيرهـا. في هـذه الكتـب أيضـاً كـرس هـيرودوت فصـولاً خاصـة عـن تاريـخ البابليـين، والأشـوريين والشـعوب المحيطـة ببحـر قزويـن مشـيراً كذلـك إلى مـوت قـورش الكبـير.

❖ في كتابـه الأول (كليـو) يبـدأ هـيرودوت بعـرض الأسـباب التـي قـادت شـعوب الـشرق إلى الـصراع مـع اليونـان. ويقتبـس عنـاصر أسـطورية تشـير إلى الحضـارة الفارسـية والفينيقيـة ويتحـدث عـن تاريـخ مملكـة ليديـا منـذ البدايـة حتـى كرويسـوس وأسـباب هجماتـه عـلى المـدن اليونانيـة غـرب آسـيا الصغـرى. لم يُغفـل ذكـر مناقشـات كرويسـوس

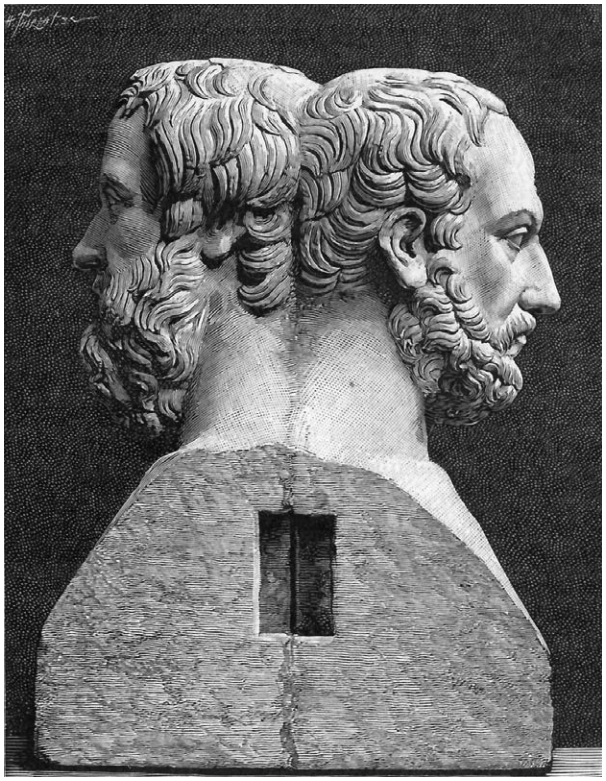

٤٥. تمثال نصفي ذو وجهين لهيرودوت وثوكيديديس، نيابولي، Museo Archeologico Nazionale. من إصدار Victor Duruy، «...Histoire des Grecs»، م. ٢، باريس، Librairie Hachette، ١٨٨٨ (م. أ).

٤٦. ستاتير فضي، ٣٤٦ – ٣٣٨ ق. م. من دلفي. على الجهة الامامية يتم تصوير الإلهة ديمترا وعلى الجهة الخلفية الإله أبوللو يجلس على السرة. من إصدار Peter Oluf Bröndsted، «... Reisen und Untersuchungen in Griechenland»، باريس، Firmin Didot، ١٨٢٦ (م. أ).

مـع صولـون واتصـالات الملـك ليـدوس الوثيقـة بهيـكل الوحـي في دلفـي. ويتحـدث كذلـك عـن طغـاة مثـل بيسيسـتراتوس ونسـله وعـن تحالفـه بالطبـع مـع الإسـبرطيين ضـد تاجيـا. وتسـتمر الإشـارة إلى كرويسـوس وحملتـه ضـد الفـرس وتنتهـي بـأسره وغـزو سـارديس وإخضـاع مملكتـه للفــرس.

ويشــير هــيرودوت فيــما بعــد إلى تاريــخ الميديــين وإلى الإطاحــة بالنــير الآشــوري وأخــيراً إلى إســقاط المملكــة الميديــة. يتبــع ذلــك إخضــاع إيونيــة وكاريــا وليقيــا للملــك قــورش. وفي النهايـة يتحـدث هـيرودوت عــن مملكتــي البابليــين والآشــوريين وكذلــك عــن شــعوب الماســاجيتيين وجمــوع البحــر الأســود.

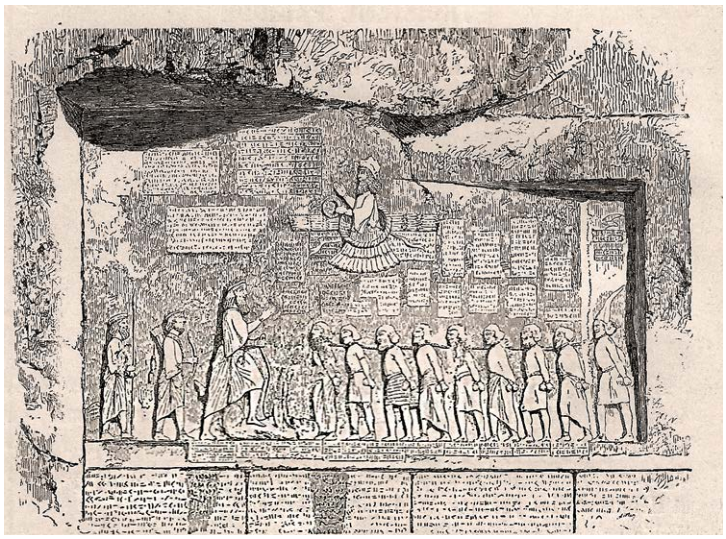

٤٧. رسم تمثيلي لنقش بارز في حضرة داريوس. من إصدار Victor Duruy، «... Histoire des Grecs»، م. ٢، باريس، Libraire Hachette، ١٨٨٨ (م. أ).

❖ في الكتــاب الثــاني (يوتـيربي) يـروي هـيرودوت بدقـة تاريخيـة عـن عهـد قمبيــز، ويذكــر أنــه كان يــرى الإيونيــين والأيوليــين كعبيــد ومــع ذلــك قــام بتجنيدهــم عنــد غــزوه لمــصر. يبــدأ الــكلام عــن مـصر بوصـف طبيعتهـا ويسترسـل كذلـك إلى معالمهـا، وديانتهـا، وعـادات وتقاليـد سـكانها. يـلي ذلـك ملخـص للتاريـخ المـصري يصـل إلى عهـد الملـك أحمـس ثـم يختتـم بقـدوم قمبيـز إلى مـصر. في هـذا الكتـاب لا يكتفـي هـيرودوت بخبراتـه المسـتمدة مـن جميـع أنـواع رحلاتـه وتنقلاتــه، بــل يمتــد إلى تاريخيــة التقليــد المــصري.

❖ في الكتــاب الثالــث (ثاليــا) يتحــدث هــيرودوت عــن تجهيــز حملــة قمبيــز إلى مــصر. ويــلي ذلــك سرد لعملياتــه العســكرية ضــد القرطاجيــين والآمونيــين والإثيوبيــين. ويشــير هــيرودوت إلى ســلوك قمبيــز الاســتبدادى وموقفــه المــسيء تجــاه الديانــة المحليــة. بعــد ذلــك يبــدأ وصفــاً لعهــد داريــوس ومناقشــات حــول شــكل نظــام الحكــم في بــلاد فــارس

(ديمقراطيـة، حكـم أقليـة، ملكيـة)، ويتـم التحـدث عـن منظمـة الشـطربيات ومسـاهمتها في عائـدات الإمبراطوريـة الفارسـية. في نهايـة الكتـاب يُذكـر سـقوط إنتافرنيـس وهـو أحـد المتآمريـن ضـد المجـوس وينتهـي السـرد بقمـع الثـورة البابليـة.

في الكتـاب الرابـع (ميلبومينـي) يقـص هـيرودوت حـرب داريـوس ضـد السـكوثيين، وبينـما يتكـرر السـرد النموذجـي للأحـداث في الأربعـة فصـول الأولى هنـا كـما رأينـا في الكتـاب الأول، إلا إنـه يتـم إدراج حديـث عـن السـكوثيين وذلـك بوصـف بلدهـم وذكـر عاداتهـم وتقاليدهـم. ومـن العنـاصر الجديـرة بالاهتـمام تعتـبر جميـع أنـواع البيانـات الجغرافيـة وأوصـاف شـكل الأرض وكذلـك سـجال هـيرودوت الواضـح ضـد أراء هكتيـوس. وينتهـي الكتـاب بتراجـع داريـوس عـن السـكوثيين.

❖ في الكتـاب الخامـس (تيربسـيكوري) يتـم التحـدث أولاً عـن احتـلال الفـرس لبرينثـوس وتراقيـا ويـلي ذلـك الحديـث عـن الثـورة الإيونيـة، والإشـارة إلى مجلـس ميليتـوس الحـربي والاسـتعدادات الأولى وذلـك بإرسـال أريسـتاغوراس مـن بـين آخريـن إلى اليونـان الحضريـة. وفيـما يتعلـق بنظـام الحكـم في أثينـا، يبـدأ هـيرودوت مـن سـقوط البيسيسـتراتيديين ويصـل إلى حملـة كليومينـس ضـد المدينـة. ثـم يشـير إلى النزاعـات والاحتـكاكات المختلفـة بـين المـدن اليونانيـة، وبـين البيوتيـين والخالكيديـين عـلى سـبيل المثـال، بـل وكذلـك بـين الاثينيـين والإيجينيـين. ويشـمل بعـد ذلـك جـزءاً كبـيراً مـن الأعـمال العدائيـة بـين الإيونيـين والفـرس ويتـم ذكـر حمـلات الإيونيـين في سـارديس ومضيـق الدردنيـل. ويـلي

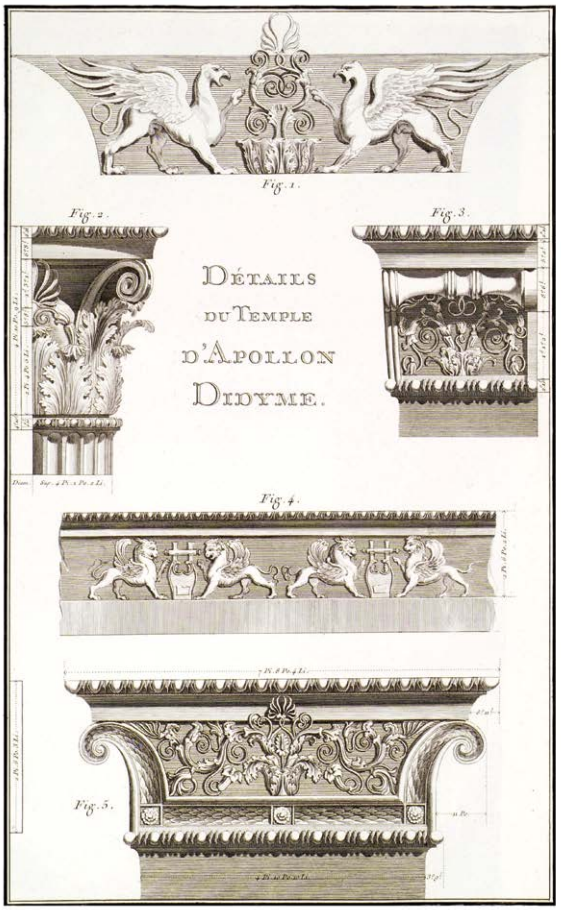

٤٨. تفاصيل من معبد ابوللو في ديديما بآسيا الصغرى. من إصدار Marie-Gabriel-Florent-Auguste de Choiseul-Gouffier، «Voyage pittoresque de la Grèc...»، باريس، J.-J. Blaise، ١٧٨٢ (م. أ).

ذلــك وصــف معركــة ســلاميس البحريــة ويتــم الحديــث عــن الغــزو العنيــف لمضيــق الدردنيــل عــن طريــق الفــرس وإعــادة غــزو المــدن الإيونيــة والأيوليــة مــن قبــل الجيــش الفــارسي.

❖ في الكتــاب الســادس (إراتــو) يعــود هــيرودوت إلى ثــورة إيونيــة وإلى دور طاغيــة ميليتــوس هيســتيوس، متحدثــاً عــن مفاوضاتــه وأفعالــه المخادعــة. بعــد ذلــك يذكــر المعركــة البحريــة في لادي، وهــي جزيــرة صغــيرة تقــع بالقــرب مــن ميليتــوس. ومــن ثــم يشــير إلى ســيطرة الفــرس عــلى أســطول الأيونيــين وحصــار ميليتــوس الــبري والبحــري.

يتحــدث هــيرودوت هنــا عــن تعــاون مناطــق الجــزر مــع الفــرس، بمعنــى الخضــوع لمطالــب الفــرس مقابــل اســتقلالهم. ثــم يتــم ذكــر مؤسســات أســبرطة ودور ديماراتــوس بصفتــه مخربــاً تابعــاً لكليومينــس. ويختتــم الكتــاب باســتعدادات الفــرس لشــن هجــوم جديــد عــلى الأراضي اليونانيــة انتهــى بمعركــة ماراثــون وعودتهــم إلى آســيا.

❖ في الكتــاب الســابع (بوليهيمنيــا) يــروي هــيرودوت ظــروف مــوت داريــوس وصعــود كسيركســيس عــرش بــلاد فــارس واســتعدادات الفــرس حتــى تقدمهــم إلى حــدود ثيســاليا. ويتــم التشــديد عــلى ذكــر وصــل مضيــق الدردنيــل وعبــوره مــن قبــل كسيركســيس

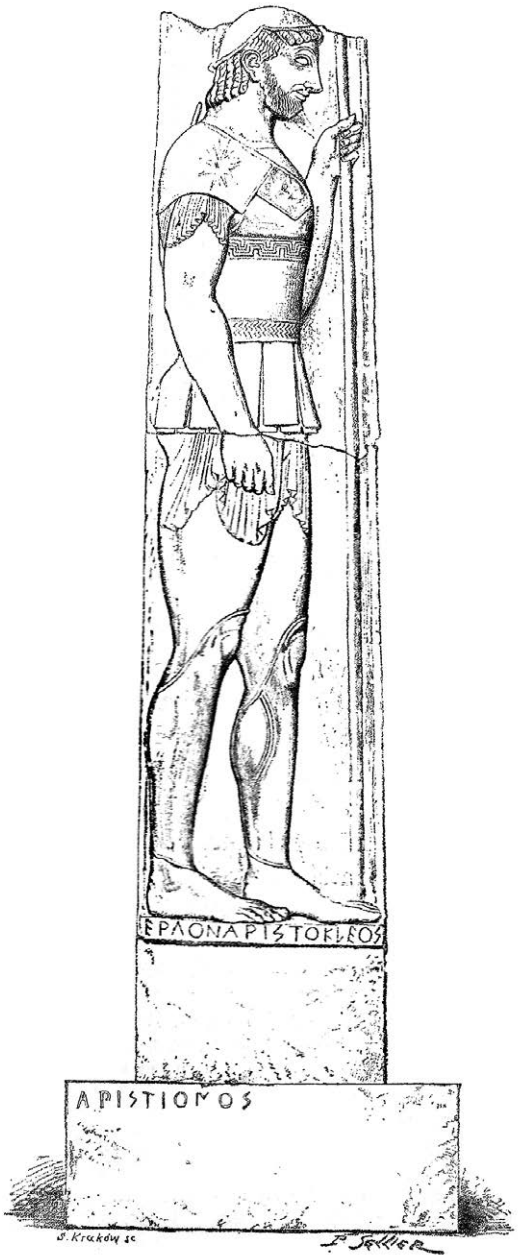

٤٩. رسم تمثيلي لعمود أريستيون، حوالي ٥١٠ ق. م.، أثينا، المتحف الأثري الوطني.

والمناقشات مع ديماراتوس. وتركز عدسة هيرودوت فيما بعد على حرب اليونانيين مع القرطاجيين في صقلية ويُذكر كذلك المجلس الحربي اليوناني الذي انعقد عند البرزخ لكي يتم اتخاذ القرار بشأن التكتيك الواجب اتباعه في الحرب. في هذه الاثناء يصل الأسطول الفارسي إلى افيتيس ويلقي اليونانيين بمراسيهم في أرتيميسيو. وينتهي الكتاب بالإشارة إلى معركة ثيرموبيلاي.

❖ في الكتاب الثامن (أورانيا) تبدأ القصة بالمعركة البحرية حول أرتيميسيو ونتائجها، وبانسحاب اليونانيين وتقدم الفرس إلى بيوتيا، و«زيارة» دلفي وهيكل الوحي. يلي ذلك سرد معركة سلاميس البحرية وعرض نتائجها وتقديم نهاية العام الأول من العمليات الحربية. ثم يأتي وصف عودة كسيركسيس إلى آسيا.

ويبدأ العام الثاني للحرب بوصول الأسطول الفارسي إلى ساموس، في حين إرساء وترقب الأسطول اليوناني في إيجينا وديلوس. ويلي ذلك سرد العمليات البرية والأحداث التي تسبق معركة بلاتايا.

٥٠. تمثال للإلهة أرتميس في معبد أرتميس بجزيرة ديلوس. من إصدار Johann Laurenberg، «Graecia antiqua»، edidit Samuel Puffendorf، أمستردام، apud Joannem Janssonium، ١٦٦٠.

❖ في الكتاب التاسع والأخير (كاليوبي) يتم الحديث مرة أخرى أيضاً عن معركة بلاتايا، وتُذكر تحركات ماردونيوس في بيوتيا وما قبل المعركة كما يُذكر ما يتعلق باصطفاف اليونانيين استعداداً للمعركة. ويتم سرد الاشتباك الحاسم، ومشاركة الإسبرطيين والتيجيين وغزو المعسكر الفارسي، ويُوصف اليونانيون وهم يدفنون موتاهم ويقسمون الغنائم، بينما يعود آرتابازوس إلى آسيا. يلي ذلك معركة ميكالي البحرية المكلل نهايتها بالنصر، بينما تتراجع بقايا الجيش الفارسي إلى ساردیس. ويُختتم الفصل الأخير بحرب اليونانيين

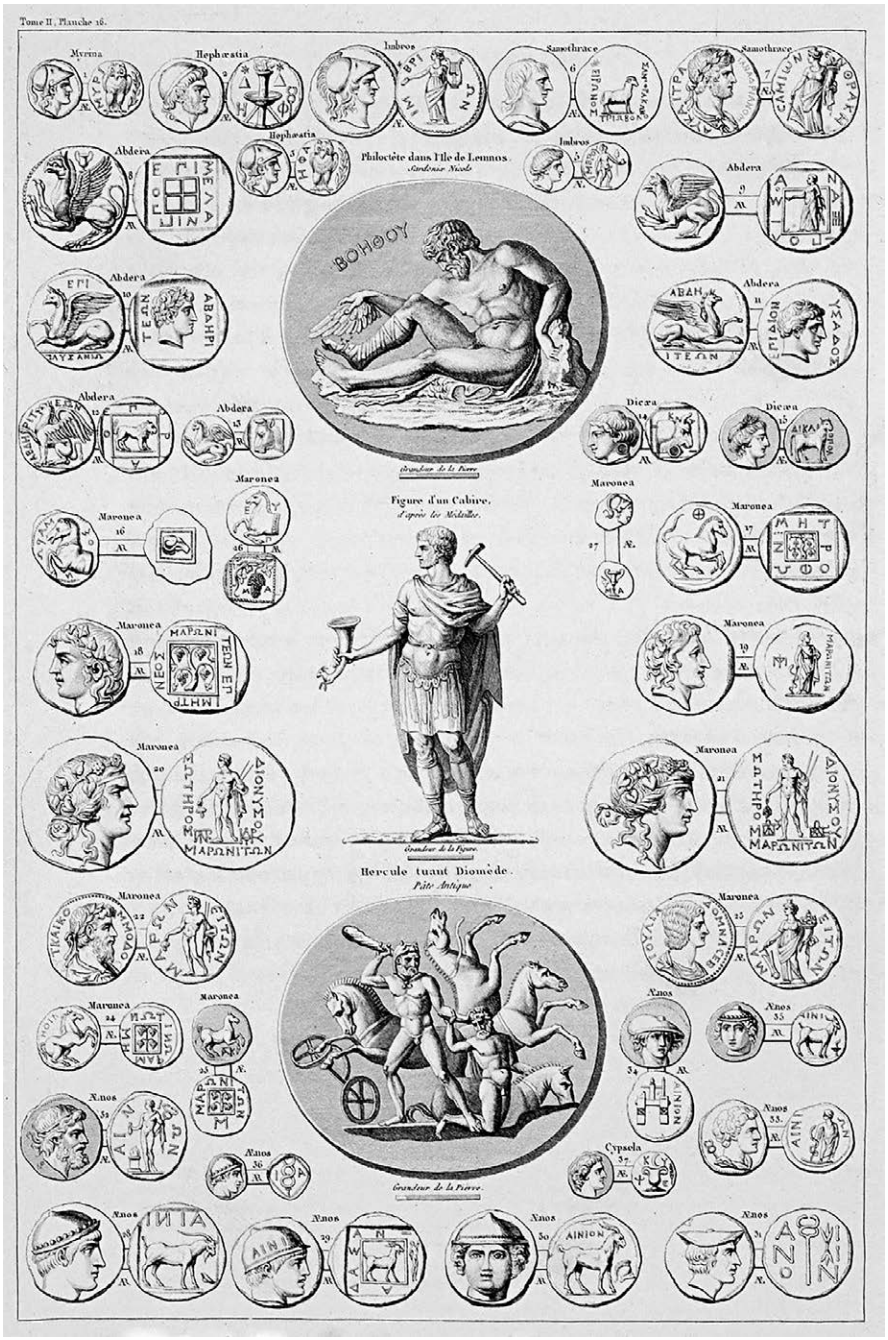

٥١. عملات معدنية وأختام حجرية من ليمنوس، إمفروس، ساموثراكي والمدن الساحلية في تراقيا. من إصدار
Marie Gabriel Florent Auguste de Choiseul-Gouffier،
«Voyage pittoresque de la Grèce»، باريس، Blaise J.-J.، ١٨٠٩ (م. أ).

العدوانيـة عنـد مضيـق الدردنيـل، والتـي تنتهـي بغـزو الأثينيـين لسيسـتوس، ومـوت إيوبـازوس والعـودة إلى أثينـا.

يعتـلي هـيرودوت ومؤلَّفـه قمـة علـم التأريـخ والإثنوجرافيـا (علـم وصـف الأعـراق البشريـة) ويحـدد مـدى ازدهـار النـثر اليونـاني. يجـب الإشـارة هنـا إلى حياديتـه واتسـاع نطـاق معرفتـه والأسـلوب المميـز لـسرد الاحـداث الـذي يعجـب القـارئ مبـاشرة. لا بـد وأن أبـا التاريـخ

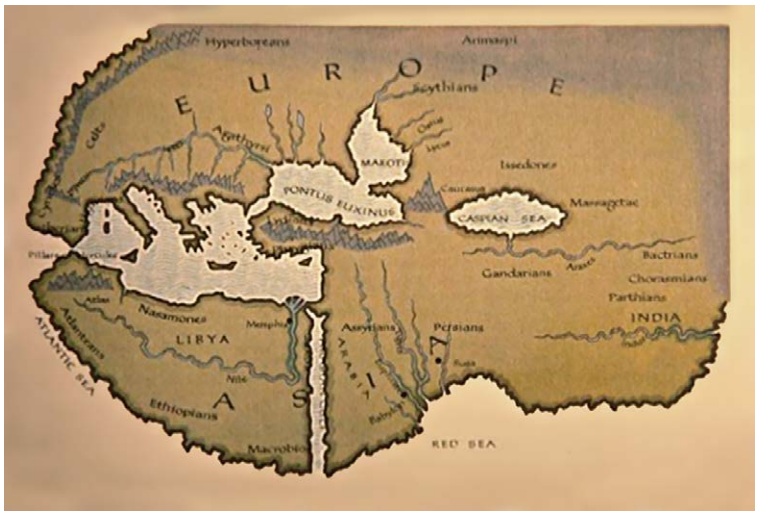

٥٢. تصور العالم على خريطة طبقاً لأوصاف هيرودوت، «تاريخ رسم الخرائط»، مراجعة ليذا ستامو

كان عـلى علـم بالتأريـخ الإيـوني السـابق الـذي يرتبـط بالفلسـفة الإيونيـة في بدايـات ازدهـار روح البحـث في القـرن السـادس قبـل الميـلاد، عندمـا كان يتـم افتتـاح الـكلام النـثري بالطبـاق الأقـرب إلى الملحمـي.

لقـد حصـل هـيرودوت عـلى مـادة قيمـة مـن خـلال رحلاتـه سـواءً نحـو شـمال أو جنـوب هاليكارناسـوس وخاصـةً سـفره إلى مـصر. في رحلاتـه هـذه بـدءاً مـن سـاموس وهاليكارناسـوس يبحـر بالتـوازي نحـو سـاحل آسـيا الصغـرى حتـى مضيـق الدردنيـل وبحـر مرمـرة، ويصـل إلى بيزنطـة ومـن هنـاك يتابـع المسـير حتـى السـاحل الغـربي للبحـر الأسـود.

تعليـق خـلال فـترة النهضـة الإيطاليـة وقبـل عـام ١٥٠٠، تـم نـشر ثـلاث طبعـات لاتينيـة مـن كتـاب Historiae لهـيرودوت في إيطاليـا، كلهـا نُـشرت بواسـطة مطابـع إيطاليـة وتحديـداً في البندقيـة (١٤٧٤ - ١٤٩٤) وفي رومـا عـام ١٤٧٥، وكانـت الثلاثـة باللاتينيـة

للورينـزو فـالا.[١٠] وقـام البابـا نيكـولاوس الخامـس بإصـدار تكليـف بترجمـة عملـه عنـد اتخـاذه القـرار الطمـوح حـوالي عـام ١٤٥٠ بترجمـة كل الأدب العالمـي والدينـي اليونـاني تقريبـاً إلى اللاتينيـة.[١١] تـم نـشر الطبعـة الثالثـة في البندقيـة عـام ١٤٩٤ بواسـطة يوانيـس وجريجوريـو دي جريجوريـس وهـي مزينـة بنقـش في غايـة الإتقـان عـن جماليـات عـصر النهضـة، يحيـط بالنـص في الصفحـة الأولى. ويوجـد تشـكيل عـلى هيئـة زخرفـة رأسـية في بدايـة النـص يمثـل الكاتـب هـيرودوت ورجـلاً مـن رجـال الأدب (شيشـيرون؟) وهـو يتوجـه.[١٢]

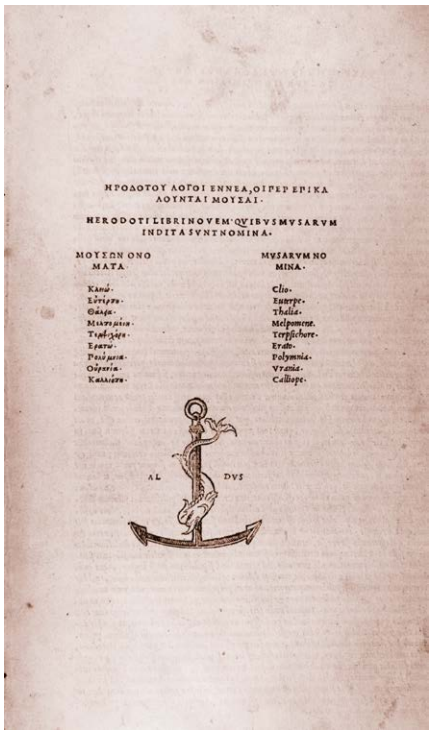
ΗΡΟΔΟΤΟΥ ΛΟΓΟΙ ΕΝΝΕΑ, ΟΙΠΕΡ ΕΠΙΚΑ ΛΟΥΝΤΑΙ ΜΟΥΣΑΙ.

HERODOTI LIBRI NOVEM: QVIBVS MVSARVM INDITA SVNT NOMINA.

ΜΟΥΣΩΝ ΟΝΟ ΜΑΤΑ.

Κλειώ.
Εὐτέρπη.
Θάλεια.
Μελπομένη.
Τερψιχόρη.
Ἐρατώ.
Πολυμνία.
Οὐρανία.
Καλλιόπη.

MVSARVM NO MINA.

Clio.
Euterpe.
Thalia.
Melpomene.
Terpsichore.
Erato.
Polymnia.
Vrania.
Calliope.

AL DVS

٥٣. الصفحة الأولى من نص طبعة هيرودوت، «الفصول التسعة»، البندقية، ألدوس مانوتيوس، سبتمبر، ١٥٠٢.

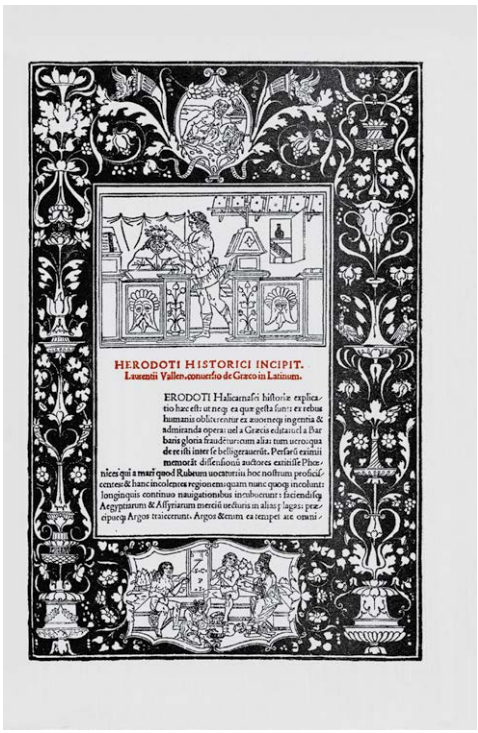
HERODOTI HISTORICI INCIPIT.
Laurentii Vallen. conuersio de Græco in Latinum.

ERODOTI Halicarnasēi historiæ explicatio hæc est: ut neq; ea quæ gesta sunt ex rebus humanis oblitteretur et auoneq; ingentia & admiranda opera: uel a Græcis edita: uel a Barbaris gloria fraudentur: cum alias tum ucrosqua de re ith inter se belligerauerūt. Perfarū eximii memoriæ disciplinæq; auctores extitisse Phœnices qui a mari quod Rubrum uocantur in hoc nostrum proficiscentes: & hanc incolentes regionem: quam nunc quoq; incolunt: longinquis continuo nauigationibus inuulcerunt: faciendisq; Aegyptiarum & Assyriarum mercū uectura in alias: ægas: præterq; Argos traiecerunt. Argos &enim ea tempest ate omni-

٥٤. الصفحة الأولى من نص طبعة «Herodotus «Historiae»، البندقية، Johannes & Gregorius de Gregoriis، ١٤٩٤.

وانشـغل بتاريـخ الفـرس أيضـاً مـؤرخ وكاتـب خطـاب آخـر في نفـس عـصر هـيرودوت، وهـو هـارون اللامبسـاكوسي. كتـب عملـه بيرسـيكا في كتابـين، يتحـدث فيهـما عـن الحـروب الفارسـية، وكتـب كذلـك الأعـمال الينيـكا، ليفيـكا، كريتيـكا، إثيوبيـكا وغيرهـا.[١٣]

كسانثوس الليدي

من المحتمل أن كسانثوس وُلد في ساردیس بليديا وكان معاصراً لهيرودوت. وكان يعتبر مؤرخاً وكاتب خطاب هلنستي، حيث كتب باللهجة الإيونية عمله ليذياكا في أربعة كتب.[١٤] روى كسانثوس تاريخ شعبه منذ البداية حتى هزيمة كرويسوس واندثار مملكة الليديين. وقد استخدم مصادر محلية غير معروفة، ومن خلال المقتطفات المتبقية يصعب استخلاص أي استنتاجات حول تنظيم عمله. خلال السنوات الهلنستية تم تنقيح ليذياكا من قبل شخص يُدعى مينيبوس والذي قام بتحرير تلخيص للعمل، في حين أصدر ديونيسيوس سكيتوفراخيون جامع الأساطير الذي نشأ في ميتيليني وعاش في الإسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد هو أيضاً تنقيح للعمل. ويُدرج ستيفان البيزنطي في مؤلّفه إثنيكا، معلومات جغرافية مثل أسماء الأماكن والعناصر الخاصة بوصف الأعراق البشرية وبيانات عن التعابير اللغوية. ويُثبت المؤرخ نيكولاوس الدمشقي مدى دقة وتاريخية المعلومات التي

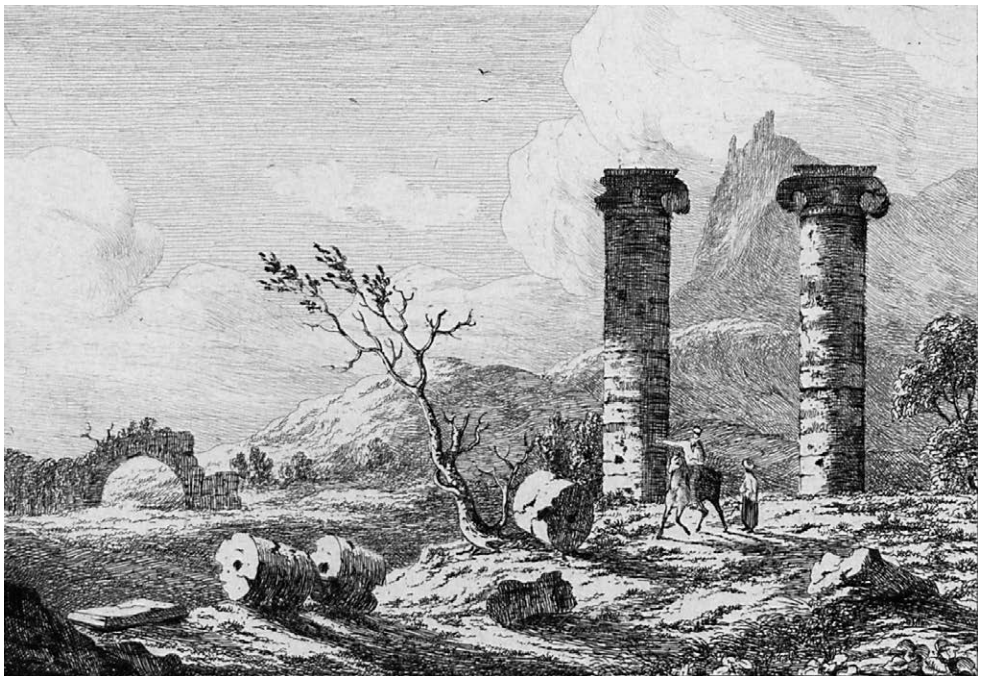

٥٥. بقايا معبد قديم في ساردیس، من المحتمل معبد أفروديت. من ألبوم «The Seven Apocalyptic Churches» لـ Charles McFarlane و T. Knox، لندن،١٨٣٢.

يدرجها كسانثوس، عندما يستعين بمقتبسات له في عمله عن التاريخ العالمي والذي هو بعنوان Ἱστορίαι (في ١٤٤ كتاب).

فيما يتعلق بأسلوب كسانثوس، فمن الممكن لأي أحد دون شك أن يشهد بأنه أدخل على المقالة التاريخية أيضاً عناصر من التاريخ الطبيعي وذلك عند النظر إلى الجزئية التي يتحدث فيها عن الشُقَّف المتحجرة التي قام بتحديد موقعها داخل أرمينيا وفريجيا. ومن ناحية اللغة فمن الممكن أن نذكر أن كسانثوس كان أول من ذكر اسم زرادشت باللغة اليونانية. هذا الشيء بالطبع لا يُثبت أنه كتب - وفقاً لفرضية ما- عن تاريخ ديانة الفرس أيضاً، الذي ضمّنه في عمله ماغيكا.[١٥]

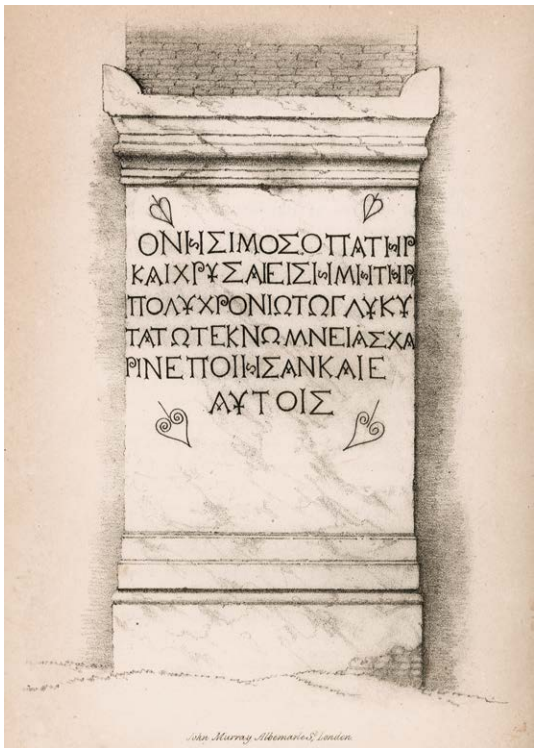

٥٦. نقش من مبنى أثري في سوما بآسيا الصغرى. من إصدار Charles Fellows، «A Journal written during an Excursion in Asia Minor»، لندن، John Murray، ١٨٣٩.

ميغاستينيس الإيونيّ

على خُطى كسانثوس يسير كذلك ميغاستينيس الإيونيّ (٣٥٠ - ٢٩٠ ق. م. تقريباً)، وهو عالم الجغرافيا والإثنوغرافيا والمؤرخ الذي قام بمهام دبلوماسية في الهند، حيث تمّ إرساله إلى هناك من قبل سلوقس الأول المنصور لمدة عشر سنوات. كان أيضاً مستشاراً سياسياً لسيفيرتيوس مرزبان أراخوسيا وكمبعوث له إلى بلاط الملك ساندروكوتوس بالهند سافر إلى تلك الأماكن ووصل حتى منطقة نهر الغانج.[١٦] كتب مُؤلفاً بعنوان إنذيكا، والذي فيه تأثرٌ واضحٌ من أعمال ذات صلة مثل أعمال سكيلاكس، وهيرودوت، وهكتيوس، وبه يدرج العديد من العناصر الجغرافية والإثنوغرافية، ولكن أيضاً الأساطير ذات الصلة التي تشير إلى وصول ديونيسوس وهيراكليس إلى الهند، وذلك بتقديم التقاليد الأسطورية المحلية في شكل رداء يوناني قديم. ومع ذلك لا يزال يعتبر «أبا التاريخ الهندي».[١٧]

يقدم ميغاستينيس معلومات حول النظام الإداري، مشيراً إلى أن كل من كانوا يعملون في خدمات الدولة كان يتم تصنيفهم إلى سبع فئات، وأن كل مدينة كان لديها مجلسها المكون من ثلاثين عضواً، وأن الضرائب كان يتم دفعها عينياً، كالماشية على سبيل المثال وكذلك مخرجات الإنتاج الزراعي.[١٨] كما يتحدث ميغاستينيس كذلك عن النظام العسكري، قائلاً إن الجيش كان تحت اشراف ثلاثين قائداً لديهم مرؤوسون كانوا يسيطرون على المشاة والفرسان والمركبات والفيلة والبحرية والميليشيات.

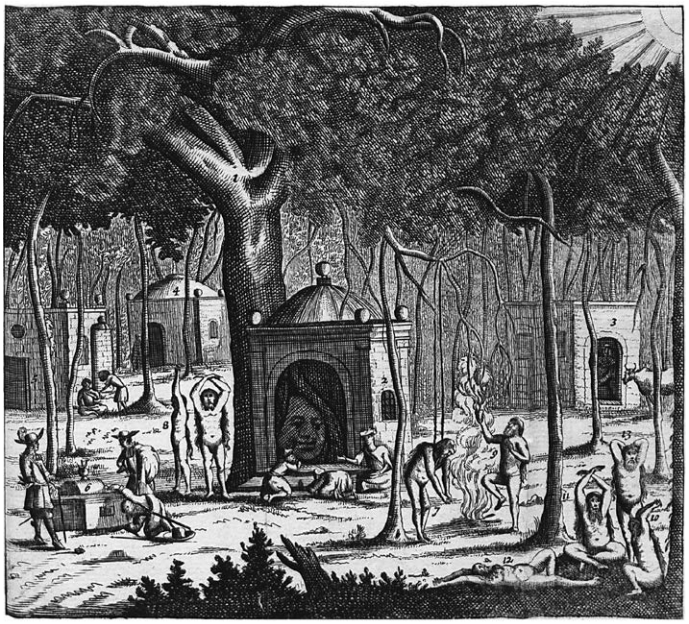

٥٧. الحكماء البراهمانيون في الهند. من إصدار Jean Baptiste Tavernier، «Les six voyages de Jean-Baptiste Tavernier»، أوترخت، Guillaume van de Water، Guillaume & Jacob Poolsum، ١٧١٢ (م. أ).

ويذكر ميغاستينيس كذلك معلومات عن النظام الاجتماعي: فكان على كل عامل أن يتاجر في المنتجات التي كانت تنتجها مجموعة العمل الخاصة به. يشير أيضاً إلى وجود سبع طبقات في الهند وهم كالآتي، الفلاسفة، والمزارعون، والرعاة، والحرفيون، والتجار، والجنود، وأصحاب الرتب الحكومية والمستشارون.

يتحدث ميغاستينيس كذلك عن صورة وتصميم المدن، مشيراً إلى أنه في عصر ساندروكوتوس كانت باليمبوثرا تعتبر مدينة صغيرة ضيقة تمتد لتسعة أميال على طول نهر الغانج، وتشتمل على ١٠٠٠٠٠ منزل، أي أن تعداد سكانها كان حوالي ٥٠٠٠٠٠ نسمة.

لم يقتصر ميغاستينيس على المصادر المحلية، ولكنه أضاف أيضاً معلومات مستمدة من أبحاثه الخاصة لكن دون تجنب بعض المبالغات – عندما يتحدث على سبيل المثال عن الحكماء الهنود (البراهمانيين).

ماراباس كاتينا حول أرمينيا

من المؤكد تماماً أن الإسكندر الأكبر أبدى اهتماماً خاصاً بالإرث الروحي لشعوب الشرق التي سيطر عليها وكان همه الأساسي هو أن يتم ترجمة جميع أنواع الأعمال التي تمت كتابتها بالمسمارية، وأعمال السومريين، والأشوريين، والبابليين، والكلديين، والإيلاميين إلى اليونانية حتى تصبح ملكاً للبشرية. وكشهادة صغيرة على مبادرة الإسكندر هذه التي يحركها احترامه للأدب الأجنبي - كما يخبرنا الأدب الأرميني كذلك - أن الملك الأرميني فالارساكيس قام بتكليف ماراباس كاتينا الكلدي (= السوري) بمهمة سفره إلى نينوى عام ١٥٠ ق. م. وذلك لدراسة مصادر أرشيفية متعلقة بتاريخ الشعب الأرميني. وهناك وجد نصاً يبدأ بجملة «هذا الكتاب الذي تمت ترجمته إلى اليونانية من الكلدانية بأمر من الإسكندر الأكبر، يحتوي على تاريخ أسلافنا». [١٩]

٥٨. عملة فضية على شكل الملك الأرميني ديكرانوس الثاني (٩٥ - ٥٥ ق. م.) من الناحية الأمامية ومصير أنطاكية مع نهر أورنط عند قدميها من الناحية الخلفية.

مانيتون

ساعد مانيتون الذي نشأ في سمنود بمصر بصفته كبير كهنة سيرابيس في هيليوبوليس وأمين أرشيف معابده على نشر عبادة الإله في الإسكندرية. عاش في عهد الملك بطليموس الأول أو في عهد ابنه بطليموس فيلادلفوس في القرن الثالث قبل الميلاد.[٢٠] ويُنسب إليه مؤلفات مختلفة مثل الكتاب المقدس، موجز الفيزيائيين، حول الأعياد، حول استخدام العصور القديمة والدين، كتاب سوثيس وغيرها.[٢١] كتب هذا الكاهن العالم باللغة اليونانية مؤلّفاً لحساب البطالمة على الأرجح، يضم ثلاثة كتب باللغة اليونانية وهي بعنوان ايجيبتياكا، وفيها يسرد تاريخ مصر منذ العصور الأسطورية حتى الأسرة الثلاثين (= ٣٤٣ ق. م.). واستمد مانيتون معلومات قيمة من المادة التاريخية التي تم كنزها في المعابد وكانت تشتمل على جداول زمنية بأسماء الفراعنة وأعمالهم الهامة.

في الكتاب الأول من ثلاثية ايجيبتياكا يتم الحديث عن العصور القديمة، والإشارة إلى الآلهة، والأبطال، وأرواح الموتى وملوك مصر الفانين.

يغطي الكتاب الثاني الفترة من الأسرة الثانية عشرة إلى الأسرة التاسعة عشرة، أي نهاية المملكة الوسطى والفترة الانتقالية الثانية (غزو «شعوب البحر»). ويتم ذكر هذه الفترة أيضاً من قبل فلافيوس يوسيفوس الذي يطابق بين «شعوب البحر» وبين بني إسرائيل عند خروجهم من مصر (الرد على إيبيون ١، ٨٢-٩٢). يبدأ هذا الكتاب بفترة حكم شيشنق، وأمنمحات، وسنوسرت والتي فيها تم إخضاع آسيا بأكملها في تسع سنوات وأوروبا حتى منطقة تراقيا وإقامة آثار في كل مكان تدل على غزو الشعوب.

٥٩. يقدم فرى أمنحتب الثالث لآمون رع (إضافة ألوان، ق. س. ستايكوس).
من إصدار Georges Perrot & Charles Chipiez،
«Histoire de l'art dans l'antiquité...»،
م. ١، باريس، Librairie Hachette، ١٨٨٢ (م. أ).

يتناول الكتاب الثالث الفترة من الأسرة العشرين إلى الأسرة الثلاثين والحادية والثلاثين والغزو الفارسي الثاني لمصر (٣٤٣- ٣٣٢ ق. م.) وبالإضافة إلى ذلك يذكر مانيتون الملوك الثلاثة من الاسرة الحادية والثلاثين الذين كانوا من اصل فارسي وهم آخوس، وأرسيس وداريوس الذي قضى الإسكندر المقدوني عليه.

وفقاً لبلوتارخوس، كان مانيتون يعتبر مرجعاً في عبادة سيرابيس.[٢٢] يمثل ايجيبتياكا مؤلفه الأكثر شمولاً والذي كان منظماً بحسب الترتيب الزمني وطبقاً لتقسيم عهد حكم الفراعنة على شكل اسرات. ويعتبر تأثير هيرودوت واضحاً

بشـكل عـام في عملـه، ويُقـال أيضـاً أن مؤلفـه ضـد هـيرودوت كان يمثـل اسـتكمالاً وإعـادة صياغـة في أجـزاء معينـة لكتـاب تاريـخ هـيرودوت. وتكمـن المشـكلة الأساسـية في أن أعمالـه تـم انقاذهـا في شـكل مقتطفـات - كـما هـو الحـال بالنسـبة لكافـة الادب الـذي مـن هـذا النـوع - واسـتُخدمت مـن قبـل المؤرخـين اليهـود واليونانيـين بشـكل انتقـائي عـلى حسـب الحاجـة. ومـع ذلـك فـإن أقـدم إشـارة إلى عمـل مانيتـون ايجيبتيـاكا تـم تحديدهـا عنـد فلافيـوس يوسـيفوس (الـرد عـلى إيبيـون).

بيروسوس البابلي

يعتـبر الاسـم بيروسـوس هـو الشـكل اليونـاني مـن الاسـم الفـارسي بيروكـس "Περούξ" ، عـاش في الفـترة مـن ٣٥٠ إلى ٢٧٠ ق. م. تقريبـاً، وكان كاهنـاً للإلـه بعـل (بيلـوس) وعمـل بشـكل أسـاسي بعلـم الفلـك الـذي اكتسـب مـن خلالـه المعـارف حـول مـاضي ومسـتقبل الوجـود الإنسـاني. ويبـدو بالطبـع أنـه أسـس مدرسـته الفلكيـة الخاصـة في جزيـرة كـوس. كتـب باللغـة اليونانيـة مصنفـاً باسـم البابليـات أو الكلديـات في ثلاثـة كتـب، والـذي أهـداه إلى أنطيوخـوس الأول المنقـذ. في هـذا العمـل يصـف بيروسـوس مواريـث أسـطورية وأحـداث تاريخيـة ويدمـج بـين أسـلوب التأريـخ اليونـاني وطريقـة سرد الأحـداث التـي كان يتبعهـا مؤرخـو بـلاد مـا بـين النهريـن، وبالإضافـة إلى تجاربـه الشـخصية، نجـد أنـه يذكـر معلومـات غـير دقيقـة وأوصافـاً جغرافيـة عـن بابـل مثـل هـيرودوت بالطبـع. وعـلى الأرجـح فقـد كتـب عملـه مـا بـين عـام ٢٩٠ و ٢٧٨ ق. م.[٢٤]

في الكتـاب الأول مـن ثلاثيـة البابليـات يُشـار إلى تأسـيس بابـل ويتـم ذكـر هزيمـة انثـى التنـين البابليـة تيامـات عـلى يـد مـردوخ.

في الكتـاب الثـاني يُـروى تاريـخ مملكـة بابـل بدايـة مـن ألوليـم وحتـى نابوناسـار (٧٤٧ - ٧٣٤ ق. م.). ويجـدر هنـا ذكـر يوسـابيوس القيـصري الـذي يـروي معلومـة مسـتمدة مـن مكتبـة أبولـودوروس بـأن بيروسـوس يغطـي فـترة تاريخيـة بدايـة مـن الملـك الأول ألـوروس وحتـى الملـك العـاشر خيسـوثروس والـذي وفقـاً لحسـاباته التـي تسـتند إلى مصـادر محليـة وقوائـم حـكام، يغطـي ٤٣٢,٠٠٠ عامـاً.

يـروي بيروسـوس في الكتـاب الثالـث تاريـخ بابـل بدايـة مـن نابوناسـار حتـى أنطيوخـوس الأول. بشـكل عـام، مـن الواضـح أن مؤلـف البابليـات تمكـن مـن الوصـول إلى مـادة أرشـيفية

كانـت محفوظـة في المعابـد وكانـت تحتـوي عـلى القوائـم، والتسلسـل زمنـي وسلاسـل الأنسـاب، ولكـن دون أن يكـون مـن الممكـن تحديـد ماهيـة تلـك المـادة التـي كانـت في حوزتـه بالضبـط، وكذلـك عـدم تطابقهـا مـع القوائـم التـي وصلـت إلينـا بعـد انقاذهـا.

وهنـاك عمـل آخـر وصـل الينـا فقـط مترجـماً باللغـة اللاتينيـة ويسـمى (باللاتينيـة)

٦٠. رسم تمثيلي لنقش آشوري بارز.تصميم Saint-Elme Gautier.
من إصدار G. Perrot & Ch. Chipiez،
«...Histoire de l'art dans antiquité»، م. ٢، باريس، Librairie Hachette،
١٨٨٤ (م. أ).

Procreatio، تمـت نسـبته إلى بيروسـوس مـن قبـل اللاتينيـين المفسريـن لعمـل أراطـوس الظاهـرات (Commentariorum in Aratum Reliquiae).[٢٥] وليـس مـن المسـتبعد أن بيروسـوس تحـدث عـن أمـور ذات صلـة بالكتـاب الأول مـن البابليـات.

تمهيد الفصل الثالث

تـمّ تخصيـص الفصـل الثالـث للتحـدث عـن مسـيرة فتوحـات الإسـكندر الأكـبر في الـشرق وللتعليـق عـلى المحطـات الرئيسـية أثنـاء سَـيْره. فيـما عـدا أهميـة التنويـه إلى مـدى تغلغـل العنـصر اليونـاني في مناطـق غـير معروفـة لم يتـم اكتشـافها في الـشرق، سـيكون هنـاك فرصـة للتأكيـد عـلى الجانـب الإنسـاني لشـخصية القائـد المقـدوني وموقفـه تجـاه مهزوميـه وكذلـك تابعيـه. ومـن الأمثلـة عـلى ذلـك احترامـه للملـك العظيـم داريـوس، واهتمامـه بتوفـير حيـاة كريمـة لأفـراد العائلـة الملكيـة، وانتقامـه مـن القتلـة المخادعـين المنتمـين إلى الحاشـية وكذلـك حصافتـه في التعامـل مـع التقاليـد الروحيـة والدينيـة لشـعوب الـشرق. ولنذكـر أيضـاً إعـادة بنـاء أسـوار بابـل العظيمـة التـي هدمهـا كسيركسـيس بـل ورحابـة صـدر القائـد المقـدوني تجـاه خصمـه المهـزوم الشـجاع بـوروس.